التهيئة اللغوية للنحت في العربية

د. عبد الجليل مرتاض
أستاذ بجامعة تلمسان

1. النحت لغة

كم أنا معجب بقول دي سوسور بأن "كل تعريف لكلمة ما باطل، كما أن المنهج الذي ينطلق من الكلمات لتحديد الأشياء لهو خاطئ"[1] أجل، هذا قول مصيب، لكنه في نظرنا سيظل حلما منهجيا لن يتحقق خارج الكلمة، مادام كل مصطلح إلا وينطلق من كلمة وفقا لمعايير قواعد اللغة.

ومع ذلك، فإن معاجمنا العربية القديمة لا تتوسع كثيرا في مشتقات كلمة "النحت"، ولا تشير أية إشارة إلى هذه الكلمة، ما أصبحت تدل عليه فيما بعد كمصطلح لغوي يدل على اختزال كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة قد تكون اسما وقد تكون فعلا، وقد لا يكون هذا الاسم جامدا، وقد يكون متصرفا، كما سنشير إلى هذا لاحقا.

إن كلمة "النحت" أخذت من مادة نحت نحتا الشيء إذا براه بريا مثل بري القصبة أو القلم وما يتطاير من عملية النحت أو البري يسمى نحاتة أو بُراية، وآلة النحت تسمى المنحاة مثلما تسمى آلة البري مبراة ومادة "نحت" تتقاطع دلاليا بشكل من الأشكال مع مادتي "نأت" و"نهت"[2].

وانطلاقا من دلالة "نحت" يمكن أن نطلق على كل ما يلفظ أو يهمل من أصوات أو مقاطع أو كلمات خلال عملية " النحت" مصطلح "النُّحاتة" ف "حوقل" المنحوتة من جملة "لا حول ولا قوة إلا بالله" يمكن اعتبار : لا، و، لا، قوة، إلا،

---

[1]. محاضرات في الألسنية العامة، ص. 26، ف، دي سوسور، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، ط 1984 دار نعمان للثقافة، بيروت.

[2]. راجع معاني هذه المواد الثلاث في الصحاح : 268/1 – 269، ط1979/2، دار العلم للملايين، بيروت، وقارن بلسان العرب 403/2 لابن منظور، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

بالله، عبارة عن "نحاتة" حتى نفرق بين ما يثبت في الصيغة المنحوتة، وبين ما يهمل في الجملة الأصلية التي نحتت منها الصيغة الجديدة.

2. النحت مصطلحا ؟

وأما النحت مصطلحا فهو عبارة عن توليد كلمة أو نحتها من تركيب لغوي للدلالة بها على كلمة جديدة واشتقاق مشتقات منها وفق ما يسمح به النظام اللغوي المعتاد في العربية، واللفظة المنحوتة قد تسمى مستحدثة أو مولدة NEOLOGISME أو النحت اصطلاحا "انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه. وقد نحت القدماء من الجملة فاشتهر من منحوتاتهم قولهم : حمدل حمدلة من الحمد لله، وبسمل من بسم الله، وسبحل سبحلة من سبحان الله، وحسبل حسبلة من حسبي الله، وجعفد من جعلت فداك، ودمعز من أدام الله عزه، وحولق، من لا حول ولا قوة إلا بالله، وطلبق من أطال بقاءك، ومشكن من ما شاء الله"[1]، أو النحت نزع حرف " أو حروف من كلمتين متمايزتين أو أكثر من ناحية المعنى للدلالة على معنى جديد"[2].

وقال ابن فارس بأن العرب "تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار"[3] مثل عبشمي منسوب إلى اسمين (عبد شمس) وروى الخليل بيتا شعريا قديما يدل على أن النحت تابع كغيره من القواعد الأخرى من اللغة الشفوية[4] :

---

[1]. مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) مجلد 34، ج 4،سنة 1959، ص. 545.

[2]. ظاهرة الاشتقاق في اللغة العبية، ص. 357، طنطاوي محمد دراز، ط 1986 مطبعة عابدين – القاهرة.

[3]. الصاحبي في فقه اللغة، ص. 271 لابن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي، ط 1963 مؤسسة بدران، بيروت.

أقول لها ودمع العين جار آلم تحزنك حيعلة المنادي ؟

حيث نحت الشاعر سليقيا الحيعلة على وزن فعللة من قول المؤذن "حي على الصلاة، حي على الفلاح" وإن اكتفى بنحت الحيعلة من اسم (حيَّ) وحرف جر (على) لأن المرأة التي خاطبها الشاعر تدرك بالجزء ما قصد إليه من معنى.

وقال شاعر آخر (عَبْدُ يَغُوثَ)[1] :

وتضحك مني شيخة عشمية كأن لم تر قلبي أسيرا يمانيا

3. هل وجد النحت مصطلحا لدى النحاة المتقدمين ؟

ومما راعى انتباهنا، ونحن نبحث في ظهور مصطلح النحت في علوم اللغة العربية أن هذا المصطلح لم يتواجد صراحة بهذا الاسم لدى النحاة المتقدمين، حتى وإن كانوا عالجوه لغويا ومهدوا به الطريق لمن جاء بعدهم من المتأخرين، وهذا دون أن نتجاهل ما أصله الخليل بن أحمد لهذه الظاهرة في كتابه "العين" ولكنه لم يفرد عندهم بباب مستقل أسوة بالأبواب اللغوية الأخرى.

مع أن اللغة الشفوية عند العرب، قبل التهيئة اللغوية، عرفت كلمات نحتية لا يتطرق الشك إلى ذهن دارس من أن العرب كانوا يعرفون هذه الأنماط اللغوية في عادتهم الخطابية سليقة، وقلتها عندهم، في نظرنا، ترجع إلى قلة الاحتياج إليها لأن هذا النمط اللغوي قد يكون نشأ عندهم لإرادة الإيجاز والإشارة الخفيفة في

---

[1]. نفسه، ص. 271.

[2]. مغني اللبيب 277/1 ابن هشام، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.

الخطاب، وليس لحافز اضطراري لغوي صرف، ومن هنا نجد اللغويين المبكرين تغاضوا عن هذا الباب، ولم يعقدوا له دراسة مستقلة ولا حتى عنوانا دالا عليه.

4. فكرة النحت عند سيبويه

وبرجوعنا اليوم إلى تصفح كتاب سيبويه، وهو أول سجل قواعدي علمي شامل للعربية، لا نجد ذكرا صريحا لكلمة "النحت" فيه. ولكن الرجل يذكر كلمات وقوالب من المركبات والجمل لا تبتعد عن مجال النحت، غير أنه لا يذكر شيئا مستقلا أو مبوبا في النحت نفسه، مثلما فعل ذلك مثلا في الاشتقاق الذي يحوي كتابه منه حيزا كبيرا، بل أشار حتى إلى التعريب وقوانينه ونماذجه عند العرب[1] وهذا إن دل على شيء فعلى عدم اطلاعه على كتاب العين.

أيا كان الأمر، فإن نصا سيبويهيا مثل : "هذا باب الشيئين اللذين ضم أحدهما إلى الأخر، فجعلا بمنزلة اسم واحد كعيضموز وعنتريس"[2] لا يبتعد عن معنى النحت، ثم إن عملاء القرن الثاني الهجري ظلوا يعدون المركبات الإسناديـــــة، والإضافية، والعددية، والمزجية شيئين أو اسمين جعلا اسما واحدا، وهذا ما عادت تقول به المدرسة اللسانية الوظيفية المعاصرة بل في الكتاب نص يشير إشارة واضحة إلى معنى النحت وبعض من قواعده : "وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسما بمنزلة جعفر، ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر، ولا يخرجونه من حروفها ليعرف، كما قالوا : سبَطْر، فجعلوا فيه حروف السبط إذ كان المعنى واحدا،... فمن ذلك : عبشمي، وعبدري"[3].

---

[1]. انظر الكتاب : 303/4 – 307، تحقيق هارن، ط 1975 – الهيئة المصرية للكتاب.

[2]. الكتاب : 296/3، تحقيق هارون، ط 1973، الهيئة المصرية للكتاب والعيضموز : العجوز الكبيرة من إنسان وحيوان والعنتريس : الناقة الصلبة الكثيرة اللحم.

[3]. السابق ص. 376.

وما جعفر إلا فعلل، وتأمل ملاحظته من أن النسب في الإضافة لا بد أن يشتمل على حروف من شقي الا سمين المنحوت منهما كلمة واحدة، فالسبطر من السبط والسبر، وعبدري من عبد الدار، ولكنه لم يحدد قاعدة تحديدا واضحا لهذه الظاهرة أسوة بما حدده من قواعد للعناصر اللغوية الأخرى، وكان علينا أن ننتظر القرن الرابع الهجري لتبعث فكرة النحت على عهد أبي الحسين أحمد بن فارس (308–395 هـ) والتي كان أصلها الخليل بن أحمد بقاعدة تأسيسية لم يحفل بها كثيرا اللغويون اللاحقون[1].

وبشأن التركيب المزجي دائما، فإنه ألمع إلى أن من العرب من يقول : معد يكرب بجعله اسما واحدا دون إضافة، مما جعله يسأل يونس بن حبيب : "هلاّ صرفوه إذ جعلوه اسما وهو عربي؟"[2] فأجابه يونس : "ليس شيء يجتمع من شيئين فيجعل اسما سمي به واحد إلا لم يصرف"[3].

وعموما، فعلماء هذه الفترة (حتى نهاية ق2 هـ على الأقل) بقدر ما تغاضوا عن تخصيص باب مستقل لموضوع النحت، فإنهم كانوا يعدون بشكل صريح المركبات الإسنادية، والإضافية، والعددية، والمزجية شيئين أو اسمين جعلا اسما واحدا، وهذا ما تقول به المدرسة اللسانية الوظيفية المعاصرة حيت تعتبر كل تركيب مزجي AMALGAME وحدة دالة واحدة MONEME كقول أندري مارتيني عام 1969 :

---

[1]. سنثير هذه المسألة في حينها عند الرجلين لاحقا.
[2]. نفسه، ص. 297.
[3]. نفسه، ص. 297.

"كل اندماج Fusion مشكـــل من مونيمتين أو عـدة مونيمـات يكـوّن مـا أسميـه تركيبـا مزجيا"[1].

وعليه، إذا أردنا أن نستلهم هذا الدرس اللغـوي (النحـت) عنـد علمـاء القـرن الثاني الهجري فعلينا أن نستوحيه من هذه المركبات المشار إليها سابقا، وأن نلتمسه بالضبط من موضوع النسب الذي سماه سيبويه بـاب النسـبة، وبـاب الإضـافة[2] مـع تحفظنا على نسبة هذه العناوين المحددة بهذه المصطلحات إليه.

ويظهر بشكل خاص، أن الخليل بن أحمد لم تفتـه الإشـارة إلى طـرق موضـوع النحت وعلاجه علاجا علميا، فكان يقول في الاسمين اللذين ضم أحـدهما إلى الآخـر فجعلا اسما واحدا: "تلقي الآخر منهما كما تلقي الهاء من حمزة وطلحة؛ لأن طلحة بمنزلة حضْرَمُوتَ"[3] وهذا ما عناه سـيبويه حـين أشـار إلى أن مـن كـلام العـرب أن يجعلوا الشيء كالشيء إذا تشابها في بعض المواضع، ضاربا الأمثلة بنحت الكلمـتين المزجيتين، حضـرموت، وعبـدري مـن عبـد الـدار، وسـأل الخليـل، دون اسـتعمال مصطلح النحت، عن الإضافة إلى رجل اسمه مثلا اثنا عشر، فوجهـه بقولـه: ثنـوي كقول من قال: بنوي في ابن[4].

وفي الكتاب نص قصير يوحي بشكل واضح إلى النحـت وأوليـة قواعـده وبعـض نماذجه، وهو يتحدث عن النسب بالإضافة: "وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسمـا

---

1. Dictionnaire de didactiques 24. R/ Galisson/D.coste Hachette, 1976.

2. انظر الكتاب، 335/3.

3. السابق، ص. 374.

4. راجع المصدر السابق ص. 374.

بمنزلة جعفر، ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر، ولا يخرجونه من حروفها ليعرف كما قالوا سبطر، فجعلوا فيه حروف السبط إذ كان المعنى واحدا،... فمن ذلك : عبشمي، وعبدري"[1] ولكنه لا يعد مثل هذه الظاهرة اللغوية التي عرفت في عهده، لدى الخليل، تحت مصطلح النحت قياسا، وإنما قالوا هذا كما قالوا : علوي من عالية، وزرباني من ربينة، وليس بقياس وإذا سميت رجلا وزينة لم تقل : زباني،... ولكن تقول في الإضافة إليه، زبني"[2].

5. ملامح نظرية ابن فارس عند سيبويه

وعلى ذكر سيبويه كلمة "سبطر" التي ألمح إلى كون العرب جعلوا فيها حروف السبط لما كان المعنى واحدا، فإنه من الواجب العلمي أن نشير إلى أن الرجل قد سبق بفكرته هذه من تأخر عنه وتبنى مثل هذه الفكرة مذهبا له، كقول ابن فارس : " هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد : ضِبَطر من ضبط وضبر، وفي قولهم: صَهْصَلِق أنه من صَهَل وصَلَق، وفي الصَّلْدم أنه من الصلد والصدم"[3].

وهكذا، فأن السبطر التي ذكرها سيبويه قد تكون نحتا لكلمتي: سبط- على وزن تعب أو سهل – وسبر، وجاء في بعض المعاجم أن السبطر هو الماضي الشهم[4] والسبر – بكسر السين – الهيئة الحسنة وسبَطَ الشعر سبطا إذ كان مسترسلا، وعلاقة

---

[1]. السابق، ص. 376.

[2]. نفسه، ص. 338.

[3]. الصاحبي في فقه اللغة، ص. 271.

[4]. القاموس المحيط : 44/2 الفيروز أبادي، دار الفكر بيروت.

النحت الدلالية غير بعيدة بين الكلمتين، وممن وظف أحد المشتقات القريبة من هذه الكلمة أمرؤ القيس في وصف فرسه[1]

وإن أعرضت قلت : سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر

أي لها ذنب ممتد طويل، وهو لا يشبه سرعة فرسه بسرعة الجرادة وخفتها، بل بالاستواء في الخلق.

6. لماذا أهمل النحاة المتقدمون التهيئة في النحت ؟

إن معالم النحت واشتقاقه، على غير مذهب بعض العلمغيين (علماء اللغة) العرب الذين يرون كل وحدة لغوية زادت على ثلاثة أحرف منحوتة في أكثرها، لقليلة، بل نادرة الوجود في العربية الشفهية الجاهلية، ومن أجل ذلك لم يعره المعلمغيون العرب المتقدمون أدنى اهتمام في تهيئة قواعد له أسوة بما أنجزوه من تهيئات لغوية أخرى لباقي أبواب قواعد العربية.

ومما تقدم ظهر لنا أن الخليل بن أحمد وسيبويه قد فطنا بشكل من الأشكال إلى مفهوم النحت، وأعطيا بعض النماذج عنه، وأشارا إلى جزء هام من قوانين نحته واشتقاقه دون أن يصرح سيبويه بمصطلحه، مع أنه تلميذا للخليل، وأن هذا الأخير ذكره مصطلحا، كما سنبين لاحقا.

ومما يوجد في هذه الظاهرة من ندرة مبعثرة في نصوص تراثية جاهلية لم يكن بإمكانه أن يشكل عائقا أمام المستعربين الأمر الذي جعل العلمغيين الرواد يهملونه كصناعة لغوية محددة تحديدا علميا واسعا ودقيقا.

---

[1]. ديوان امرئ القيس، ص. 166 تحقيق : أبو الفضل إبراهيم، ط : 2، دار المعارف، مصر.

ونـدرة التراكيـب النحتيـة في العربيـة الجاهليـة الـتي تعـد حجـة علـى كـل المستويات اللغوية اللاحقة في العهد الإسلامي وما بعده إلى عصرنا هذا ينبئ بوضـوح عن استغناء عربية هذه المرحلة عن مثل هذه البيانات النحتيـة ومـا يتصـل بهـا مـن مستويات اشتقاقية قياسية.

7. ظاهرة النحت في العربية الجاهلية ؟

وهذه الندرة التي ألمحنا إليها آنفا بالنسبة لظاهرة النحت في العربية الجاهلية لا نعني بها إلا تلك الكلمات المنحوتة من كلمتين فصاعدا إذا كان الأمر يتعلق بأسماء الأعلام، والنبات، والقبائل، وما شاكلها، وإلا فإن هذه الندرة لا معنى لها بالنسـبة للوحدات الدالة معنويا، وخاصة بالنسبة لمئات الكلمات المنحوتـة، مـن كـل مـا زاد على ثلاثة أحرف، إذا تبنينا مذهب من يقول بذلك كابن فارس مثلا.

إن كلمات مثل[1] :

– الكعثب (الركب الضخم)، ماذا تفعل هنا في مادة كعب ؟

– الكعب والكعدبة (الفسل من الرجال) نفس التساؤل ؟

– الكعسب (العدو الشديد) والكعنب (القصير)...

ومن هذه الكلمات التي رتبها المعجميون تحت (كعب) نستطيع أن نشتق منها ما نشاء وفق القاعدة اللغوية في العربية.

وصرح سيبويه أنه سمع العرب يصرفون الرجل المسمى كعسبا، مردفا القـول : "وإنما هو فعل من الكعسبة[1] أي أنه منقول من الفعلية، وليست فعل هنا إلا كعب.

---

[1]. انظر القاموس المحيط 124/1.

ومستبعد جدا أن تكون كلمات الكعثبة، والكعدبة والكعسبة والكعنبة من الفعل كعب وحده.

وأما تشكيلها، فيتألف من فعلين ثلاثيين :

- الكعثبة ⟵ كعب + كعث
- الكعدبة ⟵ كعب + كعد
- الكعسبة ⟵ كعب + كعس
- الكعنبة ⟵ كعب + كعن

والوحدات الأربع (كعث، كعد، كعس، كعن) ليست مهملة على أنها غير مستعملة في العربية، بل هي موجودة جزئيا بواسطة أصواتها : الثاء، والدال، والسين، والنون، والصوتان الباقيان في كل واحدة منها ثابتان في المادة الأم (كعب) وهنا ينبغي أن نعيد النظر فيما سماه العلمغيون الرواد مهملا كلما تعلق الأمر بواقعة لغوية شبيهة بهذه.

وبواساطة الظواهر الثقافية والنسبية والدينية والأحداث التاريخية والابتكارات الفنية والعلمية والتفاعلات الحضارية المتتالية بالنسبة لحياة اللغة العربية، نستطيع أن نجعل مقاربة ليست بعيدة كل البعد عن الصواب المنشود لتحديد كلمات نحتت في العربية الجاهلية، وأخرى نحتت في العربية الإسلامية الجديدة.

8. كلمات منحوتة في العربية الجاهلية

□. الكتاب 206/3.

ومن الكلمات التي ترجع إلى العربية الجاهلية بحيث نحتت نحتا سليقيا مثل سائر الظواهر اللغوية الأخرى كالرفع، والنصب، والجر، والمفرد، والمثنى، والجمع،... وعروض الشعر،... هذه الكلمات المنحوتة من مركبات عدة :

أ – المركبات الاسمية

– عبشمي ← عبد شمس، ونحتها الأصلي فعلل، أي عبشم

– عبدري ← عبد الدار، ونحتها الأصلي عبدر

– عبشمس ← عب شمس أو حب شمس، وهو ضوؤها، على الإبدال

– مرقسي ← امرؤ القيس، ونحتها الأصلي مرقس

– تيملي ← تيم الله، ونحتها الصلي تيمل

ويلاحظ أعلاه أن العرب أضافوا السين إلى عبشمس للتمييز بين نحت عبشم من عبد شمس، ونحت عبشمس وهو ابن زيد مناة بن تميم، وأبو عمرو من نص على أن أصل عبشمس من عب شمس أو حبّ شمس، بينما ذهب ابن الأعرابي إلى أن اسمه عَبْءُ شمسٍ بالهمزة[1] كأنهم جعلوه عدلا أي نظيرا للشمس في ضوئها.

وأحسب أن حاجة العرب إلى نسبة شخص إلى قبيلة بعينها، أو إلى جماعة معينة، هي التي فرضت عليهم تهيئة سليقية في خطابهم الشفهي الطبيعي، ولا أدل على ذلك من أن اللغويين الرواد لم يترددوا في وضع هذه الظاهرة (النحت) تحت

---

[1]. انظر المزهر : 484/1، السيوطي، تحقيق : جاد المولى، البجاوي، أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة. وقارن بالاشتقاق، ص. 233 لابن دريد، من أن عبشمس هو لعاب الشمس، وهو ما يرى منها مستطيلا في الصيف.

باب النسب، مثلما نجد في كتاب سيبويه، وما يدور فيه من محاورات بين مختلف العلمغيين العرب الذين عادة ما يحيل عليهم سيبويه في هذا الموضوع وغيره.

وهنا ينبغي أن نفرق بين النحت كظاهرة مستقلة لا علاقة لها بما أسماه سيبويه " باب الإضافة " أو " باب النسبة" وبين النسبة كظاهرة أخرى، لأننا نقول من : "عبشم" عبشمه يعبشمه عبشمة، وتعبشم يتعبشم تعبشما، وهو معبشم ومتعبشم (في اسم الفاعل)،... الخ، فليست النسبة بالنسبة إلى النحت إلا إحدى هذه الظواهر اللغوية، حتى وإن كانت ليست من باب المشتقات الشائع حصرها في ست ظواهر بالنسبة للعربية.

ومما يلاحظ أن نحت : عبد + شمس، تم بأخذ الصوتين الأولين المتتاليين من شقي التركيب (عب + شم = عبشم) في حين أخذ المضاف (تيم) كله، وأدمج مع صوت واحد (اللام) من المضاف إليه (الله) وإلا صار الاسم الجديد المنحوت على شكل "تيله" وعلى وزن عبشم دائما، ويبدو أنه لو جاء النحت على الصورة الأخيرة لما كان مردودا، ولكن أخذ الصوت الأخير من الشق الأول (تَيْم) أولى من اخذ الصوت الأخير (الهاء) من الشق الثاني (الله).

ب – النحت من الجمل الفعلية

وللعرب كلمات منحوتة من جمل عدة تتصل بطبيعة خطاباتهم فنحتوها اختزالا، مثل قولهم :

– الطبقة ← أطال الله بقاءك

– الدمغزة ← أدام الله عزك، وقال بعض الشعراء[1]

---

[1]. انظر هذا في المزهر 484/1.

لا زلت في سعد يدوم ودمْعَزهْ

أي لا زلت في سعد دائم وعز أدامه الله عليك

– الجعفدة ⟵ جعلت فداك، ويرى اللغويون أن الجعفلة باللام خطأ، لأن الأهمية في النحت عادة ما تقتضي التوازن ما أمكن بين الكلمات المنحوتة، أي اللام يجعل الكلمة المولدة غريبة وبعيدة عن الجملة الفعلية المنحوتة.

– الكبتعة ⟵ كبت (أذل) الله عدوك.

وقريب من هذا، الهرهرة وهو دعاؤك الغنم إلى الماء على عكس البربرة إذا دعوتها إلى العلف : "يقال هرهر بها (الغنم) إذا دعاها إلى الماء، وبربرها إذا دعاها إلى العلف. قال يونس : من هذا قولهم : لا يعرف هرا من بر، أي لا يعرف الهرهرة من البربرة "[1]. ومنه أيضا البأبأة والمأمأة، لأن العنبريين (من تميم) كانوا يقولون : "بأبأ الصبي أباه وبأبأه أبوه، إذا قال له، يا بابا، ومأمأ الصبي أمه فهو يمأمئها"[2] وحتى دأدأة الصبي إذا سكته تسكيتا، وهذا كله من العربية الجاهلية القديمة وهو أكثر من أن يحصر، لكنه صعب التخريج والتحديد، لكون الجملة الفعلية مصدرة بمسند هو الفعل، وهذا الفعل أحادي الوظيفة، أي لا يخرج عن كونه مسندا في كل حال، فضلا عن كونه لا يقوم حتى بهذه الوظيفة إلا إذا كان مرتبطا إجباريا بمسند إليه.

والكلمات المشار إليها أعلاه ليست مثل الزلزلة، والقلقلة والقعقعة، والقطقطة والخضخضة،... وهي مصادر قياسية لأفعال رباعية مجردة أو مزيدة، لأن البأبأة

---

[1]. النوادر في اللغة، ص. 251، أبو زيد النصاري، المطبعة الكاتوليكية، 1894.

[2]. نفسه، ص. 254.

ومثلها المأمأة وما اتصل بهما أصلهما جامد، ومثلهما كذلك "البخبخة" من قول العرب : "بَخٍ بَخٍ" للدلالة على الرغم من أن هذا التعبير لم يعد مستعملا في العربية الحديثة، وهذا إحدى ميز وفوائد النحت في تطوير اللغة، لأنه يهدهدها من الجمود والعجز إلى التفعيل والتحدي لمسايرة عصرها وإثبات وجودها.

ج. النحت من الجمل الاسمية

يظهر أن النحت من الجمل الاسمية في اللغة العربية أكثر غزارة منه في الجمل الفعلية لأن هدف النحت ليس ظاهرة طارئة في حد ذاتها، ولا واقعة لغوية طبيعية، تنتهي بانتهاء توليد الكلمة المنحوتة، بل عملية النحت ما هي إلا وسيلة لما بعدها، وأهمها إمكان المستعمل والمتكلم من اشتقاق ما يحتاج إليه في التعبير عن مقاصد ما كان لها أن تتم لو لا عملية النحت وتأكيدا لهذه الفكرة، فإننا نستبعد ما ارتآه ابن فارس من العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة طلبا للاختصار. وإلا فهل كان بإمكان القائل أن يقول لمخاطبته :

ألم يحزنك "حي على" المنادي

لو لم ينحت الجملة الفعلية ليحولها إلى وحدة اسمية (حيعلة)؟ فالنحت، فضلا عن كونه واقعة لغوية ككل الوقائع اللغوية الأخرى فهو يقوم بوظيفة أساسية لا يمكن لأية واقعة لغوية أخرى من غير جنسه أن تنوب منابه أو تغنينا عنه.

وحين يلجأ الاشتقاقيون إلى نحت كلمة من جملة اسمية أو فعلية، فإنهم لا يفكرون في مرحلة أولى فيما سوف يشتق من الكلمة المنحوتة من مشتقات، لأن المرحلة الثانية هذه من تحصيل الحاصل، أي العبرة أولا بتوليد كلمة جديدة حسب مقتضيات الاحتياج.

إن المتكلم الذي يريد أن يعبر باسم واحد منحوت من جملة فعلية أو اسمية، يدرك سلفا أن الاسم المنحوت يساعده في توظيفه بكيفية أفضل وأسرع وأكثر تنوعا مما لو تحدث بجملة بكاملها، وخاصة أن الاسم متعدد الوظائف خلافا للفعل، وحين يوظف المستعمل اسما منحوتا من جملة فعلية أو اسمية مبتدأ أو فاعلا أو خبرا أو مفعولا،... فكأنما يوظف جملة بكاملها.

د – الكلمات المنحوتة من وحدتين

ومر بنا أن الكلمات المنحوتة من فعلين أكثر من أن تحصر إلا بمجلدات مثلما فعل ابن فارس في معجمه"مقاييس اللغة"، ولكنا سننمذج ببعض الكلمات المنحوتة المشتقة من اسمين أو وحدتين لغويتين:

– العَجَمْضى (نوع من التمر) ← عجم وهو النوى + ضاجم (اسم واد)

– شَقَحْطب ← شِقَ + حَطَب (الكبش ذو القرون الشبيهة بشق الحطب)

– بلحارث ← بنو الحارث

– بلهجيم ← بنو الهجيم

– بلعنبر ← بنو العنبر

– ويْلمهِ ← أصلها : ويل + أم، أي : ويل لأمه.

وفي التركيب الأخير صرح الخليل أنه مركب من : وَيْ + لأمه[1] واستعمل هذا النحت شاعر متقدم (جبيهاء الأشجعي)[2]

---

[1]. الكتاب: 5/3.

[2]. المفضليات، ص. 168، تحقيق : شاكر وهارون، ط4 – دار المعارف – مصر.

ويلمها كانت غبوقة طارقٍ ترامي به بيدُ الإكامِ القراوحُ

– الإمَّعة ⟵ إني + معك أن أو إنه + معه، ...

وهذه التراكيب الاسمية المنحوتة معتمدة على السماع أكثر مما معول فيها على القياس لأنها غير متجانسة في نحتها وفق قواعد صارمة، ولكنها عامل من عوامل تشجيع المستعملين العارفين بخبايا اللغة العربية على المضي قدما في هذا الباب مع تقنينه إلى أبعد ما يمكن من تبسيط وتوحيد بين كل الناحتين في العربية، ولسنا مندهشين من التفاوتات التي قد تحصل في قواعد النحت، لأن القواعد اللغوية المهيأة بصرامة في العربية لم تخل كلها من شذوذ في القياس والاستعمال والاطراد.

فليس محظورا حظرا فاحشا علينا أن نشتق من الكلمات السابقة أفعالا مثل :

– تعجمض أو عَجْمضة، ...

– تلهجم أو لهجمه، ...

– تويلم أو أمعه تمعيها فهو ممعه، الخ.

9. النحت في العربية الجديدة

وإذا ما انتقلنا من سمات النحت في العربية الجاهلية إلى سمات النحت في العربية الجديدة التي عاصرت مجيء الإسلام ونزول القرآن ووضع العلوم وخاصة القواعد اللغوية، فإننا نكون قد خرجنا من عربية شفوية سليقية كانت القواعد فيها تهيأ بالفطرة والجبلة، ودخلنا عربية بدأت تسجل وتدون باعتماد الكتابة عونا مرجعيا تدريجيا، غير أن سمات النحت ظلت واحدة، لأن علماء اللغة المتقدمين أو روادها – كما أشرنا – لم يعيروا هذا الباب كبير اهتمام، على الرغم من شعورهم بوجوده كظاهرة لغوية، ولكنهم صرفوا النظر عنه وكأنهم قدروا أنه من حقول المعاجم

لا من اختصاص القواعد، ونجد هذا التقدير، فيما يبدو، لدى ابن فارس الذي له كلام مستفيض في مقاييس اللغة، ألم يقل مما قال فيه :

" يقال : تبعثق الماء من الحوض : إذا انكسرت منه ناحية فخرج منها، وذلك منحوت من كلمتين : بعق، وبثق، يقال : انبعق الماء : تفتح"[1].

وقال : "بزمخ الرجل : إذا تكبر، وهي منحوتة من قولهم : زمخ إذا شمخ بأنفه، وهو زامخ، ومن قولهم : يزخ، إذا تقاعس"[2] ونحا نحوه معجميون آخرون كالفيروزأبادي (817 هـ) الذي يستخدم مصطلح "مركب" عوضا عن المنحوت، فتراه عند حديثه عن الآية الكريمة﴿ وإذا القبور بعثرت﴾ يقول: "أي قلب ترابها، وأثير ما فيها، ومن رأى أن تركيب الرباعي والخماسي من ثلاثيين نحو: هلل وبسمل، إذا قال : لا إله إلا الله، وبسم الله الرحمن الرحيم، يقول : إن بعثر مركب من بعث وأثير، وهذا غير بعيد عن هذا الحرف، وإن البعثرة يتضمن معنى بعث وأثير"[3] وقال في كلمة " القمطرير" التي جاءت في القرآن : "والقمطرير : الشديد كالقماطر، كأنه مركب من قمط وقطر أو قمر"[4].

10. الخليل والنحت

---

[1]. مقاييس اللغة : 330/1.

[2]. نفسه، ص. 331.

[3]. بصائر ذوي التمييز :261/2 للفيروز أبادي نقلا عن : نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية، ص. 22، أحمد عبد المجيد هريدي، ط : 1988 مكتبة الزهراء، القاهرة.

[4]. نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية، ص. 22.

بل ما لنا ولابن فارس والفيروزأبادي ؟ ألم نجد هذا التقدير صراحة في أول معجم عربي، أي العين ؟ قال الخليل بن أحمد : "إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين، مثل : حي على، كقول الشاعر :

ألا ربّ طيف بات منط معانقي إلى أن دعا داعي الفلاح : فحيعلا

يريد "حي على الفلاح"، أو كما قال الآخر :

فبات خيال طيفك لي إلى أن حيعل الداعي الفلاحا عنيقا

أو كما قال الثالث :

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادي ؟

فهذه كلمة جمعت من "حي" ومن "على" وتقول منه : حيعل يحيعل حيعلة، وقد أكثر من الحيعلة، أي : من قول : "حي على" وهذا يشبه قولهم : "تعبشم الرجل وتعبقس، ورجل عبشمي" إذا كان من عبد شمس أو من عبد قيس، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلا قال :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترَيْ قبلي أسيرا

نسبها إلى عبد شمس، فأخذ العين والباء من عبد، وأخذ الشين والميم من شمس، وأسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة، فهذا من النحت، وهو من

الحجة، كقولهم: حيعل حيعلة، فإنها مأخوذة من كلمتين (حي، على) وما وجد من ذلك فهذا بابه"[1].

ونص الخليل الذي تعمدنا إيراده كاملا من أول مؤلف لغوي يصلنا، ليدل دلالة قاطعة على أن صاحبه كان مدركا إدراكا علميا لموضوع النحت وطريقة نحته وكيفية اشتقاق ما شئنا منه من مشتقات يمكن استعمالها بطلاقة لتعويض ما تشعر به اللغة من عجز أمام اللغات الأخرى التي تحتوي على آلاف من الكلمات المنحوتة فيها مسايرة لعصرها مرحليا للدلالة على ما يبتكر فيها من إنجازات ثقافية وعلمية لحل مشكل ميلاد المصطلح الذي يولد فيها يوميا بالعشرات أو المئات.

وعليه، فإذا كانت كتب الطبقات تجمع على أن عبد الله بن أبي إسحاق أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل، فإن المقولة نفسها تنطبق على الخليل بن أحمد في باب النحت.

ونلاحظ أن الخليل ركز على ثلاثة نصوص ترجع إلى العربية الإسلامية الجيدة، وعلى نص واحد يعود إلى العربية الجاهلية القديمة، والشاعر الجاهلي (عَبْدُ يَغوثَ بْنُ وقَاصٍ) يكون نحت هذه الكلمة (عبشمية) نحتا طبيعيا مثلما وظف في نفس القصيدة[2] تركيبا مزجيا (حضرموت) ممنوعا من الصرف توظيفا سليقياً.

---

[1]. العين – 68/1 –69، الخليل بن أحمد، تحقيق، د عبد الله درويش، ط : 1967. مطبعة العاني – بغداد.

2. انظر المفضليات ص. 157، والبيت :

أبا كَرِبٍ والأيْهَمَيْنِ كليهما وقيْساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليمانيا